الجذور التاريخة العميقة للعلاقات العربية السوفياتية

كريم مروة

تتعرض العلاقات العربية السوفياتية في الوقت الراهن لصعوبات تحاول بعض القوى اليمينية في حركة التحرر الوطني العربية الانطلاق منها من أجل القيام بتغيير في تحالفات الحركة على الصعيد الدولي . وفي تقدير هذه القوى ان مثل هذا الامر من السهولة بحيث أنها تستطيع بمجرد قرار تتخذه ، من المواقع التي تحتلها ، ان تحدث تغييرا في العلاقة مع الاتحاد السوفياتي . وهي لا تدرك بالطبع ان القضية اكبر مما تتصور واكثر تعقيدا . فما نسميه « العلاقات العربية السوفياتية » ليس مجرد علاقات بين دولة ودولة اخرى ، وليس مجرد علاقة بين دولة كبرى ودولة صغرى ، بل هي علاقة موضوعية بين الثورة الاشتراكية ، بشخص القوة الطليعية فيها ، الاتحاد السوفياتي ، وبين حركة التحرر الوطني العربية ، بمضمونها كحركة معادية للامبريالية ومناضلة من أجل التقدم الاجتماعي . وهذه العلاقة الموضوعية لم تنشأ تاريخيا بالصدفة ، ولم تكن نتيجة موقف ذاتي او بفعل قرار عفوي مؤقت اتخذه قائد سياسي هنا او هناك ، بل جاءت نتيجة التقاء موضوعي خلال الكفاح ضد الامبريالية ومن أجل التحرر الوطني والاشتراكية ، ولذلك فليست الادارة الذاتية هي التي تقرر مصير هذه العلاقة ، بل يقررها ، مرة ثانية ، الالتقاء الموضوعي في النضال المشترك ضد العدو المشترك ومن أجل الاهداف المشتركة . ومن هنا نستطيع ان نجزم منذ البدء بأن المحاولات الجارية في البلدان العربية لوضع العلاقات العربية السوفياتية في ظروف الازمة ، انما هي محاولات خبيثة تتعارض مع المصالح الحقيقية للشعوب العربية ، وسوف لن يكتب لها النجاح . فالقوى الاجتماعية التي تدرك عمق هذه العلاقات ومحتواها الحقيقي هي في نهاية المطاف القوة الاكبر تأثيرا ، لانها القوة الاصدق تعبيرا عن مطامح هذه الحركة .

أننا في تأكيدنا على موضوعية العلاقات العربية السوفياتية ننطلق من موضوعية العلاقة بين الثورة الاشتراكية العالمية وحركة التحرر الوطني . فالثورة الاشتراكية التي تصدت للنضال ضد الرأسمالية ونظامها الامبريالي العالمي ، وضعت في مقدمة أهدافها تحرير الشعوب من الحكم الاستعماري ونهب الاحتكارات الامبريالية . وأول ما قامت به السلطة السوفياتية بعد انتصار ثورة اكتوبر بقيادة لينين لم ينحصر بما تضمنه مرسوم السلام وما كشفته هذه السلطة من اتفاقيات استعمارية سرية كأتفاقية سايكس ــ بيكو ، بل يشمل بشكل أعم التوجه نحو شعوب البلدان المستعمرة للالتفاف حول الدولة السوفياتية ، دولة العمال والفلاحين ، والنضال معها في اطار حركة واحدة ضد الامبريالية العالمية . فالثورة الاشتراكية ، كما أكد لينين ، لم تكن ، ولم يكن من الممكن ان تكون ، فقط ، عبارة عن نضال البروليتاريا الثورية في البلدان الرأسمالية